المنهج التعليمي للقرآن الكريم
في الحلقات الغينية
دراسة وصفية بجمهورية غينيا ـ كوناكري

محمد صالح بن ألفا عمر جالو

الشهير بـ«ضيف اللَّه الغيني»

كاتب عن الشؤون الإفريقية

وباحث متخصص في المعاملات المالية الإسلامية

السيرة الذاتية

الاسم الكامل: محمد صالح جالو.

تاريخ الميلاد: ١٠/ ٠٦/ ١٩٨٦م.

الجنسية: غيني كوناكري.

الإقامة: بوسطن ـ الولايات الأمريكية المتحدة.

المؤهل العلمي: باحث دكتوراه ـ جامعة سيدي محمد بن عبدالله، فاس ـ المغرب.

التخصص العام: الدراسات الإسلامية.

التخصص الدقيق: المعاملات المالية المعاصرة.

العمل الحالي: باحث دكتوراه، طالب في جامعة ركس بري ـ بوسطن.

الإنتاج العلمي:

*** الكتب:**

ـ الأسهم وأحكامها في الفقه الإسلامي.

ـ فاكهة الطالب الجاد في شرح قصيدة بانت سعاد.

ـ الفقه والفقهاء في غينيا.

*** البحوث:**

ـ جهود فقهاء غرب أفريقيا في خدمة المذهب المالكي.

ـ المشاركة المنتهية بالتمليك تأصيلها وضوابطها الشرعية.

ـ المصارف الإسلامية وبعض التحديات المعاصرة.

*** المشاركات في المؤتمرات والندوات:**

ـ الندوة الدولية في المصارف الإسلامية ـ المغرب.

ـ الندوة الدولية في المصارف الإسلامية فلسطين.

ـ مؤتمر اللغة العربية بغرب أفريقيا ـ الرباط.

*** العنوان:**

*** البريد الإلكتروني:** diallodalen@gmail.com

ملخص البحث

شهدت الحلقات القرآنية الغينية في تاريخها المجيد ازدهارًا عجيبًا، ابتداء من القرن الأول الهجري، وحتى نهاية القرن التاسع عشر الهجري، وأعطت عطاء متميزًا، فلا تكاد تجد آنذاك منتسبًا إليها من طلبة العلم إلا وقد غيب القرآن في صدره حفظًا وتجويدًا، بله العلماء والفقهاء، لقد كان حفظ القرآن الكريم فيما مضى يكفي مهرًا للزواج بأجمل فتيات القبيلة. إن دل هذا على شيء؛ فإنما يدل على اعتناء الغينين واهتمامهم وتقديرهم الفريد لكتاب رب العالمين.

ولا زالت البلاد تحتفظ ببقايا المحاضر اليوم في المدن والقرى، تصارع الزمن مع مستجداته ومتطلباته وإن بصعوبة بالغة، وذلك بعد أن أدبرت الحياة في البوادي لحساب المدنية، وصار طالب القرآن الكريم ينظر إليه نظرة دونية ازدرائية، بعد أن كان بالأمس موقرًا محترمًا.

وهذا مما حدا بي أن أتناول في هذه المداخلة العلمية بالتحقيق مناهج تعليم القرآن الكريم في محاضرنا، دراسة وصفية بجمهورية غينيا كوناكري، موضحًا أهم التحديات التي تتصدى للمحاضر القرآنية القروية والمدنية، مع الإشارة إلى الحلول العلمية المنهجية الموضوعية التي قد تساهم في النهوض بالمحاضر مجددًا لتواصل دورها العلمي.

لعل نتائج هذا الجهد المقل ستستصب في حَلِّ معضلاتٍ ظَلَّتْ طَلْسمًا يُفسَّرُ بطلاسم أخرى أكثر غموضًا وأبعد عن روح الحقيقةِ والبحثِ العلمي.

المقدمة

ـ كانت الحلقات القرآنية بغينيا ـ ولا تزال ـ الأداة التعليمية الرئيسة التي ينتقل بها العلم الديني، وبالذات القرآن الكريم من جيل إلى جيل، كما كانت الأداة التي تشع منها قاعدة التنوير الديني وحفظ القرآن ونشره، وهي كذلك الأداة التي توجد قاعدة من المتعلمين الذين يستطيعون بعد ذلك بسهولة تعميق دراستهم الدينية وإتقان شتى فروع العلوم الإسلامية، كما أنها هي النظام التعليمي المناسب والملائم لاحتياجات المجتمع المتنوعة بحيث كانت تندمج بشكل طبيعي في نشاطات وحياة المجتمع الصغير اليومية، سواء في القرية أو في الحضر، وكانت نظامًا تعليميًّا مجانيًّا لا يكلف المجتمع أية أعباء للدراسة؛ فوق أنها تستمد تكاليفها المادية غالبًا من التبرعات البسيطة والجهود التطوعية للمجتمع من بعض المحسنين، أو من عرق جبين الطلاب، ولذلك؛ نستطيع أن نقول: إن هذه الحلقات سبقت مؤسسات الرعاية الحديثة التي لم يعرفها العالم إلا منذ فترة وجيزة.

إن من نافلة القول أن هذه الحلقات منظومة ضرورية في حياة المجتمع الغيني المعاصر، ولا يمكن لنظام السنوات الأولى من التعليم

الأساسي أن تحل محلها؛ لأن هذه الأنظمة الحديثة لا تتمتع بنظام الحلقات في التعليم المباشر وفي إتقان الجوانب الدينية.

والحقيقة التي لا تنكر، حقيقة دور الحلقات القرآنية في الأمة الإسلامية بصفة عامة، والأمة الغينية في كل مدنها وقراها بصفة خاصة.

فكم من سكينة نزلت على بلادنا بسبب هذه الحلقات المباركة، وكم من رحمات غشيت مجتمعنا من نور هذه الحلقات، وكم من ملائكة تحف بلادنا إكرامًا وإجلالًا لأهل القرآن!.

ورغبة في تحريك عجلات الحلقات القرآنية، وإسهامًا مني في التنمية البشرية، وأملًا في العمل بشيء إيجابي، الذي يحتاج من بعد إتقان العمل المطلوب، حتى لا يضيع الوقت، ويذهب الجهد هباء منثورًا، وددت أن أدلي بدلوي بين الدلاء في تقديم اقتراحات علمية موضوعية منهجية في موضوع الحلقات القرآنية بغينيا، وذلك تجسيمًا للتوجهات الرامية إلى النهوض بقطاع الحلقات، وارتقاء بأداء القائمين عليها بما يؤهلها لغرس القيم الإسلامية السمحة لدى الناشئة، ومواكبة للمناهج البيداغوجية الحديثة، والإسهام الفاعل في إعداد روادها من الأطفال والشبان والشيوخ؛ للصعود إلى الأعلى بأوفر حظوظ الأمن والنجاح. ونعتقد أن دراسة من هذا القبيل يمكن أن تقارب البحث في المجال «التعليمية» من جهة، كما يمكن أن تستفيد من نتائج الدراسات في حقول معرفية متعددة، كعلم النفس التربوي، وعلوم التربية، وعلم الاجتماع، وكلها حقول علمية مترابطة يمكن أن يشكل كل حقل منها رافدًا مهمًّا في الدراسة البحثية المعاصرة.

فقد حاولت في هذه الدراسة الميدانية رصد واقع الحلقات القرآنية بغينيا، وآفاق النهوض بها، حيث قمت بدراسة وصفية للمناهج المتبعة في الحلقات القرآنية بغينيا، مبينًا كيفية الاستفادة من هذه المناهج من جهة، ومقترحًا لبعض جوانب التطوير والتحسين لهذه الحلقات القرآنية.

ولما كان البحث يتجدد حول الحلقات القرآنية بغينيا، كان من البديهي أن يكون الحديث عن غينيا ـ باختصار ـ هو المدخل الأساسي إلى مباحث هذه الدراسة، لكي يتسنى للقارئ التقاط صورة معرفية عن هذه الجمهورية، ويأتي المبحث الأول عرضًا **للحلقات القرآنية بغينيا**، ودار المبحث الثاني حول **المناهج التعليمة للقرآن في الحلقات الغينية**، وتضمن المبحث الثالث والأخير اقتراحات علمية منهجية **لتطوير الحلقات القرآنية بغينيا**، ثم سجلت في الخاتمة **أهم النتائج** التي تمخض عنها البحث؛ مع طرح **التوصيات** المهمة التي أتمنى أن يرنى إليها بعين الحكمة والاعتبار، بهذا يكون البحث في **مقدمة** و**مدخل تاريخي**، و**ثلاثة مباحث** و**خاتمة**.

والله أسأل أن أكون موفقًا في نقط هذه الحروف، وتحليل مباحثها التي أتوخى من خلالها إبراز مدى اعتناء الغينيين بالقرآن الكريم، آملًا أن تتبع هذه المحاولة إسهامات أخرى بأقلام الطلبة الباحثين بشؤون الحضارة الإسلامية في القارة السمراء.

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهوا قَوْلِي.

مدخل تاريخي عن غينيا

تقع غينيا في أقصى الغرب من القارة الإفريقية، وتطل على المحيط الأطلسي بساحل يبلغ طوله ٣٠٠ كلم، تحدها شمالًا: سنغال وغينيا بيساوو، وشرقًا ساحل الحاج، ومن الشمال الشرقي: مالي، وجنوبًا: ليبريا وسيراليون.

وتنقسم غينيا كوناكري حسب المناطق الطبيعية إلى أربع مناطق طبيعية وهي: ١ ـ غينيا السفلى، ٢ ـ غينيا الوسطى، ٣ ـ غينيا العليا، ٤ ـ غينيا الغابية.

ويرجع تاريخ دخول الإسلام في غينيا إلى القرن الأول الهجري على الصحيح، فقد كانت غينيا جزءًا من مملكة غانا التي ازدهر نجم الدين في سمائها من أوائل النصف الأول والنصف الثاني من القرن الأول الهجري[١].

ويبلغ عدد المسلمين اليوم ٨٥٪، أو أكثر، و١٠٪ من المسيحيين، و٠٥٪ من الديانات المحلية.

(١) لمزيد من التوضيح والبيان يرجع إلى كتابنا «الفقه والفقهاء في غينيا».

المبحث الأول

الحلقات القرآنية بغينيا

المطلب الأول: التسمية والدلالة:

أ ـ الحلقات لغة.

جمع حلْقة ـ بتسكين اللام ـ وحلَقة ـ بالفتح ـ والأوّل أقوى، والثاني جائز على ضعفه، قاله الأصمعي[1]، ومنه: حلْقة الباب، سميت بذلك لاستدارتها. وتحلق القوم: جلسوا حلْقةً حلْقة، وتحلَّق القمر: صارت حوله دوَّارة، ويُقال أيضًا: حِلق بكسر الحاء، ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَّنَةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الجَّنَةِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ»[2].

ومما سبق يتضح وجه التسمية اللُّغوية بالحلْقات، إذ هو المشابهة بينها وبين حلقة الباب في الاستدارة والمظهر.

---

(١) القاموس المحيط، ص/ ١١٣٠. المعجم الوسيط (١/ ١٩٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٢١١٤). والترمذي وحسنه (٣٥٠٩).

ب ـ القرآنية:

نسبة إلى القرآن الكريم، كتاب الله عز وجل، فيقال: قرآنيّ وقرآنية، وسمي بالقرآن؛ لأنه يجمع السور ويضمُّها، ومنه: قرأَ الشيء؛ أي جمعه وضمَّه[(١)].

ج ـ اصطلاحًا:

عرفها النبي صلى الله عليه وسلم ـ الذي أوتي جوامع الكلِم ـ تعريفًا جامعًا مانعًا في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[(٢)].

واعتمادًا على نص الحديث يمكن صياغة تعريف اصطلاحي للحلقات القرآنية، كالتالي:

اجتماع في بيت من بيوت الله تعالى، أو في أي مكان طاهر مرضيّ؛ لتدارس القرآن الكريم مدة من الزمن.

ولمزيد من الشرح والبيان نقول:

١ ـ **اجتماع**: أي التقاء على مائدة القرآن بين اثنين فأكثر، وهذا ما يفهم من معنى الاجتماع.

٢ ـ **في بيت من بيوت الله**: وهو المسجد أو أي مكان طاهر نظيف مرضي، كالمنزل والمحظرة والكتاتيب، وغيرها.

---

(١) مختار الصحاح: للرازي، ص/ ٥٢٦.
(٢) صحيح مسلم (٢٦٩٩).

٣ ـ لتدارس القرآن: بجميع أنواع التدارس، من تلقين وحفظ وتجويد ومراجعة وتفسير.

٤ ـ مدة من الزمن: معلومة أو غير معلومة، والأحسن أن تكون معينة مضبوطة، كما هو الحال في بعض الحلقات القرآنية، من الغدوة إلى العشية، تتخللها الراحة الكافية. وتعد الحلقات القرآنية جزءًا من حياة الناس في غينيا، ارتبطت بواقعهم الديني والثقافي، وتوجد في كل قرية من قرى البلاد، وهي من التقاليد العريقة للشعب الغيني المسلم منذ فجر الإسلام، وتحتل موقعًا خاصًّا في قلوب المسلمين هناك، وهي من أعظم وأهم الوسائل التي من خلالها يظهر أثر ارتباط الجيل الجديد بالقرآن الكريم.

وقد أطلق الغينيون على الحلقات القرآنية أسماء ذات دلالة مستمدة من البيئة البدوية والريفية التي تكثر فيها هذه الحلقات، مثل (دُدَلْ أَلْقُرَنا) باللغة الفلانية، و(غَرَنْتي) بلغة سوسو، و(كَرَنْتَاطُو) بلغة جاغا، (قُرَنَ دُرُوسِدِيَا) بلغة انكو، لقد أشرفت هذه الكلمات على الضياع، حيث حل استعمال اللفظ العربي محلها، وخاصة كلمة مركز، فجل الغينيين اليوم يستعذبون إطلاق هذه الكلمة على حلقاتهم التحفيظية.

لعل من المفيد هنا الإشارة إلى أن مصطلح المحظرة والكتاتيب كان لهما حضورًا قويًّا في القارة السمراء فيما مضى، وهو الذي كان شائعًا ومعروفًا لدى أجدادنا بدل المركز، لعلهم استحضروها من بوادي المغرب، وأما مصطلح مركز وحلقة فيبدو أنهما حديثا الشهرة في الميدان العلمي الإفريقي،مقارنة بمصطلح المركز الشائع اليوم في العاصمة.

فإذا رجعنا إلى كتب المتقدمين نجد فيها مصطلح المحظرة، وخاصة لدى علماء الأندلس، وهذا ما يجعلني أجزم بأن المصطلح انتقل من الأندلس إلى المغرب العربي، ثم إلى السودان الغربي، ففي ديوان الإمام ابن حزم أبيات يذكر فيها:

مناي من الدنيا علوم أبثها وأنشرها في كل باد وحاضر
دعاء إلى القرآن والسنن التي تناسى رجال ذكرها في المحاضر[١]

وأما ابن جبير فقد استعمله أكثر من مرة، ففي معرض ذكره لمآثر سلطان مصر ومفاخره: الأمير صلاح الدين الأيوبي، حيث يقول في الرحلة: «ومن مآثره الكريمة المعربة عن اعتنائه بأمور المسلمين كافة، أنه أمر بعمارة محاضر ألزمها معلمين لكتاب الله عزل وجل، يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة، وتجرى عليهم الجراية الكافية لهم»[٢].

وذكره صاحب المعيار حين أورد سؤالًا جاء فيه «محظرة يقرئ فيها الأولاد، وصدر أمر مولانا السلطان بدرهمين في اليوم ليتقوى راتب ذلك المسجد، فانفتحت فوقها محظرة ثانية، فتفرقت الأولاد ونفرت، أفيجوز له أن يؤاجر على ولدين أو ثلاثة أو أقل أو أكثر أو بتركها؟ فأجاب: يجوز للمؤذن أن يبقى في محضره يقرئ كتاب الله، وإن لم يبق من الأولاد إلا واحد أو اثنان، ويأخذ ما عين له السلطان»[٣].

وعليه، نستخلص من أن مصطلح المحظرة، والذي يعبر عنه في

---

(١) ديوان الإمام ابن حزم الظاهري، ص/ ٩٥.
(٢) تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار: ابن جبير، ص/ ٢٧، وص / ١٦٥.
(٣) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب: الونشويسي، (١/ ١٥٦).

المجتمع الغيني بـ(مَحَدَرَ) أو بـ(حَلَغَ) كان معروفًا في الأندلس، وكان يرادف مصطلح الكُتَّاب الذي يعلم فيه الصبيان، ثم صار بعد ذلك علمًا على المدارس الجامعية المعروفة اليوم عندنا.

المطلب الثاني: المسيرة التاريخية للحلقات الغينية:

من الصعوبة بمكان، تحديد الفترة التاريخية التي أسست فيها الحلقات القرآنية بغينيا، لعدم وجود الوثائق التحريرية حول ذلك، وهذه من أهم المشاكل التي تتصدى للباحث عن التاريخ الإفريقي، فجلها شفوي الرواية. ولكن مما يمكن الجزم به أنه تم دخول القرآن الكريم إلى القطر الغيني مع الفاتحين الأولين، وذلك في القرن الأول الهجري ـ على الصحيح ـ، وتلقاه الناس بالقول والحفظ، وأخذه الخلف عن السلف كاملًا غير منقوص بسوره وآياته وحروفه، بل بخطه العثماني الخاص به، فتعلمه الصبيان حسب الطريقة التي تلقوه بها، برواية ورش عن نافع حيث انتقلت إليهم من المغرب العربي عن طريق مصر لكونها مقر الخلافة العباسية، فالإمام ورش كان مصريًّا، وهو ما أثبته التأثير الثقافي في العلاقات الغينية المصرية. ومن ذلك العهد، شهدت غينيا تأسيس عدة حلقات قرآنية، وخصوصًا منطقة فوت جالون، فقد ازدحمت الحلقات فيها، حتى صارت لكل قرية وبادية حلقتها الخاصة، وحرصوا على أن يكون القرآن هو اللبنة الأولى، وحجر الأساس في تعليم أطفالهم وناشئتهم، وبذلوا كل طاقاتهم وجهودهم للوصول إلى حفظه؛ حفظًا لا يكاد ينسى مع مشاغل الحياة المتكاثرة.

فكان من المستحيل أن تلقى طالبًا في الحلقات المتونية لم يغيب

القرآن الكريم حفظًا وتجويدًا، بله الشيوخ والفقهاء. بل وصل الأمر لدرجة أن الفتاة لا تكاد تتزوج إلا ممن يحفظ القرآن، وإلا أخذ الكثيرون يعايرونها إذا قبلت الزواج من شخص لا يحفظ القرآن، لقد كان ـ وما زال ـ حفظ القرآن كافيًا للزواج بأجمل فتاة القبيلة، فقد عاينت الكثير من الآباء يعرضون بناتهم على حفظة القرآن، ولا يريدون بذلك جزاء ولا شكورًا، وكان والدي المغفور له أسوة حسنة في هذا المجال.

فليس من المبالغة القول بأن غينيا فتحت في الحقيقة بالقرآن، ولم تفتح بالسيف والسنان؛ لأن الغينيين لم يكونوا ضعفاء أيام جاهليتهم أمام الفاتحين، لا عدة ولا عددًا، ولكن اكتملت قناعتهم بالهداية في هذا القرآن، فكان أول ما توجهت إليه هممهم، فلم يقنعوا منه بما دون المثل الأعلى في الحذق والرسوخ، وتمثل فيهم بحق قول الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

ومن هنا لم يكن مستغربًا أن نسمع عن الكثرة والوفرة التي عرفتها حركة إقامة الحلقات القرآنية والكتاتيب في القرى والبوادي والحواضر، منذ أول الفتح وفي سائر العهود اللاحقة، حتى إن الدول أو الممالك الإسلامية التي أسست في غينيا كان مؤسسوها من حملة كتاب الله، ومن خريجي الحلقات القرآنية، من أمثال: الملك ألفا يحيى جالو، والشيخ كرامكو إبراهيم سمبيقو باري، والإمام بوبكر بيرو بري، والحاج عمر تال، والإمام ساموري توري، وغيرهم، بل جميع الذين حكموا غينيا قبل حلول الاستعمار من أبناء الحلقات القرآنية، ومن حلقاتهم تلك انطلقت نشاطاتهم ودعواتهم الجهادية.

ففي القرن السادس الهجري ازدهر العلم في فوت جلون، عن مقدار ما بلغته الرعاية الرسمية في احتضان التعليم القرآني، فكانت كما قال الشاعر:

وساحة المسجد الأعلى مكللة مكاتبًا للیتامى في نواحيها
لو مكنَت سور القرآن من كلم نادتك يا خيرَ راعيها وتاليها

ويدخل الشاعر الغيني جرن عثمان كوصا على العلامة الحافظ جرن صالح، وهو يكتب القرآن من حفظه، تعجب من قوة ذاكرته، فقال مرتجلًا:

لم يبد لي أنا مذ خلقت مجدد في الحفظ من حفاظ فوت كصالح
هو في الكتابة لا تراه ناظرا في مصحف لا مصحف لا جامح

لقد انتشرت الحلقات القرآنية في ربوع غينيا قبل قيام الممالك الإسلامية فيها، والتي من أشهرها «الدولة الإسلامية الفوتجلوية» وهي أقدم من الدولة «الفغنبوية» التي أسسها الحاج عمر تال في كندرا، للتربية والجهاد ونشر الدين في إفريقيا. وتطورت الحلقات القرآنية لتصبح مؤسسات تعليمية للتعليم المستمر، يواصل الطالب الدراسة فيها بعد ختم القرآن مرتين أو أكثر إلى غاية التخرج، شيخًا مؤهلًا لإعطاء جميع المعارف والعلوم. وقد كان يقال فيما مضى: «من أراد الحظوة والمنزلة في فوتا؛ فعليه بحفظ القرآن، وإتقان الفقه المالكي، والعقيدة الأشعرية».

ومع دخول الاستعمار الفرنسي إلى البلاد، كان عدد الحلقات يفوق الخيال، وإن لم تكن هناك إحصائيات علمية دقيقة، إلا أنه باستقراء وتتبع آثار الحلقات القديمة، يمكن أن نقدر حلقات القرآنية بفوتا جالون

٥٠٠ محظرة كبرى، أو أزيد، فكل قرية أو بادية من قراها أو بواديها كانت تضم حلقة تحفيظ، هذا في نواحي فوت جلون فقط، فكيف بباقي جهات غينيا، مثل كانكان، وكنديا.

وقد تقاسمت جميع الجهات الغينية هذه العناية والرعاية، فقام أهل كل جهة بالمنافسة في حفظ القرآن حتى بلغوا فيه كل مبلغ، ونبغ منهم النوابغ الموصوفون بالحفظ والتحصيل ورسوخ القدم في فنون القرآن.

هذا وقد لعب الاستعمار دورًا هامًّا في إطفاء أنوار الحلقات القرآنية، وتم إغلاق جل الحلقات العلمية، وأفرط السجن بالحفاظ والعلماء، وهرب الغفير منهم إلى الدول المجاورة. وعرفت الحقبة التاريخية الممتدة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين معارك عنيفة بين لغة القرآن والإدارة الأجنبية المحتلة، مدعمة بالقوى المادية والبشرية الرهيبة، وبالوسائل الثقافية المعززة بكل ما لدى القوى الدخيلة من أدوات الطمس والتشويه.

ونستطيع أن نقول: إن الفضل الكبير يرجع إلى الله ثم إلى الدور الرائد الذي قامت به الحلقات القرآنية في المحافظة على القرآن الكريم واللغة العربية في وجه سياسة التنصير والإدماج التي حاول المستعمر فرضها في هذه الفترة التاريخية من حياة الأمة الغينية؛ ولذلك اتخذ التعليم في الحلقات عامة اتجاهًا لغويًّا دينيًّا. وكما بوسعنا أن نذكر بأن الحلقات القرآنية استطاعت أن تتحدى السياسة التي سار عليها المحتلون الأجانب، وحاول الفرنسيون طمس الهوية الإسلامية لشعب غينيا لفترة ليست بقصيرة، ولم يحفظ لغينيا هويتها الإسلامية والتاريخية

إلا الحلقات الدينية والتي كانت منتشرة في جميع أنحاء البلاد في فترة الاحتلال الفرنسي.

وبعد أن تنفس الغينيون الصعداء، وتنسموا نسائم التحرر من الاحتلال، عادت العزائم جذعة، وانطلقت همم العلماء والطلاب لإعادة بناء غينيا الاستقلال، وإحياء ما اندرس أو كاد من الحلقات والمحاظر والجوامع القرآنية، والمؤسسات الدينية، فكانت الوثبة التي أنعشت الأمل في النفوس، وأخذ غراس الخير في مدارس القرآن وحلقاته في المدن والقرى يؤتي أكله الزكي كل حين.

المطلب الثالث: واقع الحلقات القرآنية بغينيا:

يعتبر الكتاب القرآني رافدًا من روافد العلم والمعرفة التي أسهمت في حماية وصقل المجتمع الغيني قديمًا وحديثًا، وهو نوع من التعليم المحصن للسان من حيث الأداء اللغوي، وللفكر من حيث سلامة العقيدة، وللروح من حيث البناء السليم. ولا شك أن الحلقات القرآنية تشهد منافسة شديدة اليوم، وخاصة من المدارس الحديثة، والفضائيات التعليمية والعنكبوتية، مما أحدث تراجعًا نسبيًّا من حيث كثرة رواده، وضعف المنبرين في تلقين القرآن، فقد أقبل على سوق القرآن كل من هب ودب، أضف إلى ذلك عدم مواكبة الحلقات القروية والبدوية للتطور التقني العلمي المعاصر؛ من أجل تقديم وسائل علمية ناجحة لتحريك عجلة القرآن الكريم.

وفي بيان واقع الحلقات القرآنية بغينيا، لا بد من الإشارة السريعة إلى الوقت المخصص للتحفيظ في الحلقات القرآنية، مع وضع النقاط

على كارثة الذين يحملون تدريس هذه الأمانة، علنا نستطيع من خلالها وبها مواكبة تطور العصر وتطور الإنسان.

ـ واقع الفترة التحفيظية:

تبدأ حياة الطلاب في الحلقات القرآنية الغينية قبل صلاة الصبح بساعة تقريبًا؛ أو بعد الصلاة مباشرة، بحيث يستيقظون ويوقدون نارًا كبيرة بالخشب ليراجعوا على ضوئها، وحسب المتداول بينهم أن «ما قرئ على نار الحطب لا ينسى عادة»، وفي ذلك الوقت يكون الشيخ بجانبهم، تارة يصلي وحينًا يرتل؛ وطورًا يجول ويصول مصححًا لهم أخطاءهم، ويحفظون دروس اليوم الجديد تحضيرًا لعرضها على الشيخ، فإذا صلوا الصبح انصرفوا يراجعون ويذاكرون أيضًا، وانصرف الشيخ يقرأ أذكاره، وعادة ما تكون لشيوخ الحلقات فيما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس خلوة بربهم يتعبدون فيها؛ فإذا طلعت الشمس، ـ وعادة لا يعرف طلاب القرى والبادية معنى الفطور ـ يجلس الشيخ في مجلس علمه وأحيانًا يكون في بيت من الشجر «الكوخ» ويتحلق حوله الطلاب ويجلس الجميع عادة على الأرض بلا فراش؛ ويقدم كل طالب درسه الذي حفظه سابقًا؛ ويستمع إليهم الشيخ واحدًا بعد واحد، وقد يساعده بعض كبار الطلاب، ويبقى الشيخ في هذا المجلس حتى بعد صلاة الظهر لكثرة الطلاب عادة، ومن لم يتقن حفظه رده الشيخ، فيذهب إلى مكان ما يكرر حفظه حتى يتقنه جدًّا؛ ثم بعد الظهر يأخذ لوحه ويكتب عليه درسًا جديدًا (ليوم غد) وفي المساء يتفرغ الطلاب لاستذكار محفوظاتهم، يواصل الشيخ بعد العصر الجلوس للتدريس لمن لم يدرس أول النهار، وقبل المغرب بساعتين، يذهب الطلاب

لاحتطاب الحطب الذي يدرسون على ضوئه في الليل، وبعد صلاة المغرب يراجع الطلاب محفوظاتهم، فيرفعون أصواتهم بين الفينة والأخرى، وبعد أن يصلي الناس العشاء يعود الشيخ إلى مسكنه والطلاب إلى مساكنهم، وقد يستمع بعضهم لبعض ويتذاكرون بينهم.

وهكذا يطوي الطلاب يومهم بمزيد من التحصيل والمراجعة، في انتظار يوم جديد، لا ينامون قبل أن يعدو له حطبًا يقرؤون على ضوئه في صباح يوم جديد، هذا بالطبع في القرى، وأما في المدن، فلم يعد من المتاح اللجوء إلى ضوء النيران بسبب انحسار الأشجار مع اتساع رقعة التحضر، ثم لوجود مصادر للإنارة غير الحطب، مثل الكهرباء، والطاقة الشمسية، أو المصابيح اليدوية، وغيرها.

وتنعقد الدراسة من يوم الاثنين إلى مساء الأربعاء في الحلقات القديمة القروية والبدوية، وأما في الحلقات المعاصرة فتختلف من حلقة إلى أخرى، فغالبًا ما يراعون ظروف العاصمة، فلا يدرسون يومي السبت والأحد، وتتعطل الدراسة في الحلقات القروية في المناسبات الدينية، كالمولد النبوي، والاسراء والمعراج، وغيرها. وجرى العرف في الحلقات التقليدية أن يتم قبول الطلاب الجدد كل يوم أربعاء من كل أسبوع.

والذي يلاحظ ـ وخاصة في القرى والبوادي ـ، هو طول الفترة الدراسية خلال اليوم، فهي تستمر ساعات طويلة لا يتخللها شيء من وقت الراحة الكافية إلا ما أخذ لوجبة الغذاء، أو للصلاة، أو لمحو اللوحة الخشبية قصد تجديد الكتابة عليها، وهو نظام قد يناسب البعض دون آخرين، ونظام أيضًا قد يكون مناسبًا لزمن غير زمننا، إذ يأخذ من

التلميذ جل وقته، دون أن يستطيع الاستفادة من شيء آخر في حياته، أو يستفاد منه..

ـ واقع المحفظين:

هم في الأعم الأغلب أئمة المساجد نفسها، أو شيخ القرية وعالمها، أو شباب يتفرغون لهذا العمل وراثة عن الأجداد والآباء، أو متطوعون، يكون من مهامهم القيام بتعليم أبناء الحي أو أبناء المدن والقرى، يساعدهم في ذلك أبناؤهم أو أحد التلاميذ المتفوقين. وهذا يعني أنهم لا يكادون يأخذون مقابل عملهم إلا الكفاف من العيش والقليل من العوض، «ثمن الطنبور» ـ كما يقال عندنا ـ ولها أسماء مختلفة بحسب العادات والتقاليد، وهو عوض مالي قليل لا يسمن ولا يغني من جوع، يتسلمه الشيخ من التلاميذ يوم الأربعاء، وكذا ما قد يحصل عليه في بعض المناسبات الدينية وهي ضئيلة جدًّا، ومن بعض الهدايا البسيطة في بعض المناسبات الخاصة كحفل ختم القرآن.

ومع ذلك، تبقى حلقات غينيا فريدة في تجربتها ليس فقط على مستوى الإقبال، بل أيضًا في الممارسة والأداء، فهي لا تحول بين روادها ومواصلة تمرسهم متى ما كانت مستوياتهم تسمح بذلك، ولا تمنع تفرغهم لأعمال الزراعة ومساعدة ذويهم خلال مواسم الفلاحة والحصاد، لكنها تفرض عليهم جدية وانتظامًا في الحضور والحفظ فيما عدا هذه المواسم. مع أخذنا بعين الاعتبار بأن بعض الشيوخ يستغلون الطلاب، يقدمون العمل على العلم، قد يبقى الطالب عنده سنين عددًا دون أن يختم القرآن تلاوة، فضلًا عن الحفظ والتجويد، يقضي جميع

الفصول في الزراعة والرعي، ويزعمون بأنه بذلك سينال بركة الشيخ ودعائه، ووعاؤه خاوٍ من القرآن.

وخليق بنا أن نشير إلى أن الحلقات المدنية تختلف عن الحلقات القروية من المنحى المادي، فالحلقات القروية أسست على قاعدة: (إنما نعلمهم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورًا)، وهذا يعني أنهم لا يكادون يأخذون مقابل عملهم إلا الكفاف من العيش والقليل من العوض.

وأما الموجودة في العواصم والمدن الكبرى فهي على أساس: «**إن لم تدفعوا الفلوس فلا مكان لكم عندنا ولا تقربون**». ولا ننسى أن ننوه بأن محفظي القرآن يتمتعون في المجتمع الغيني بكل الحب والاحترام من قبل المتعلمين وأهاليهم، خصوصًا إذا كان المدرس من أهل العلم والصلاح.

وما يؤخذ على بعض من انبرى للتعليم في هذا الميدان، ضعف تكوينهم علميًّا ومنهجيًّا، فأكثرهم لا يزيد على حفظ نص القرآن ـ هذا إن حفظه ـ دون إلمام كاف باللغة العربية أو ببعض العلوم الإسلامية، فضلًا عن المعارف العصرية، أو مناهج التدريس وعلوم النفس والتربية، وإذا كان المعلم قليل العلم مختل المنهج أو منعدمه، فإن ذلك سينعكس ولا ريب سلبًا على أساليب التدريس ومضامينه ونتائجه. فقد وجد بعض المدرسين أنفسهم على هذا الطريق بإرادتهم أم بدونها، أو الظروف هي التي دفعتهم نحوه، واقعًا ومستقبلًا، فمن حيث الواقع، فلأن هذه الرغبة نابعة من صميم ذوات الأسر وعميق إيمانهم، ومستقبلًا لأن قارئ القرآن وحافظه مهما صعبت الظروف وعوصت، له

المكانة المحترمة في المجتمع الغيني، وهو المقدم في اللقاءات العامة، وله الكلمة الفصل وخاصة في القرى.

هذا، وقد غدا تحفيظ القرآن في العاصمة وسيلة للتكسب والجمع، دون استحضار النية لدى المعلمين، وصار الهم الأكبر: جمع الدرهم والدينار.

ومن الاعتراف بالجميل، أن نسجل هنا، بأنه اكتمل صرح الحلقات القرآنية اليوم في كوناكري واستطال وزاد شموخًا، وانطلقت المؤسسات تجني ثمار عقود من البناء استطاعت من خلالها أن تجدد هياكلها، وأن توسع من ميادين عملها في أكثر من اتجاه، وانتعشت مدارس القراءات، واتسعت حركة الحلقات، ونفحت روحًا جديدة فيها، وفتحت الدولة عن طريق **وزارة الشؤون الدينية** آفاقًا جديدة ورحبة لتفتيق مواهب الناشئة في ميادين الحفظ لكتاب الله، وتجويده والمنافسة فيه، فأحدثت لذلك البرامج والمسابقات الموسمية، ورصدت الجوائز والمكافآت المهمة لحفز همم الناشئة ولطلب المزيد من الحذق والتبريز في هذا الشأن. وهكذا أصبح قراؤنا اليوم، يشاركون وينافسون في مسابقات ومباريات التجويد والحفظ، ويحصلون على الجوائز والمراتب المشرفة في عدد كبير من دول المشرق العربي والعالم الإسلامي.

وها هو الدكتور أبو بكر فوفانا يختار عضوًا في لجنة التحكيم في مسابقة القرآن الكريم بدبي، وهذا يتم عن تضلعه وتمكنه في كتاب الله تعالى. فما يزال صوت الشيخ المقرئ المجود أستاذنا محمد شرف الدين كمارا الذي اكتشفه المقرئ الكبير الإمام الحذيفي، واستبان فيه

تلك الموهبة التي ما زلنا نعيشه ونستمتع به اليوم من تسجيلاته بالطريقة الفذة التي يخلد فيها طابع مدرسته في القراءة الفريدة الإفريقية، بعيدًا عن التقليد المشرقي. ولا ريب أن المجود الأستاذ شرف الدين، والدكتور فوفانا، والأستاذ إبراهيم باه يعدون رموزًا في طبيعة الكوكبة التي أعطت لأهل القرآن رسميًّا ذلك النفس الذي لا يزال متواصلًا إلى اليوم.

المبحث الثاني

الدراسة الوصفية

للمناهج القرآنية في الحلقات الغينية

تمهيد:

المنهج والمنهاج في اللغة: «الطريق الواضح، ومنه منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم، ويجمع على مناهج. فقد وردت صيغة المنهاج في القرآن الكريم بنفس المعنى، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾»[1].

إن منهج تعليم القرآن في الحلقات الغينية لا يمكن فصله عن صنوه في العالم الإسلامي، فقد انتقلت نفس المناهج المرتبطة بالتعليم إلى حلقاتنا. ولم تكن الحلقات الغينية ـ القرآنية أو غيرها ـ إلا اختزالًا لأهم مؤسستين تقليديتين، كانتا عبر تاريخ الأمة تتوليان تيسير التعليم في العالم الإسلامي: **العلماء والمساجد**، فقد كانت الحلقة جزءًا من مقر الشيخ، نما تحت ناظريه، في بيته، في المسجد، وعادة ما يكون

(١) سورة المائدة: (٤٨).

المسجد قريبًا من مسكن الشيخ، وتحت ناظريه باعتباره الراعي الأول لإقامة الصلاة، فينتقل معه طلابه إلى حظيرة المسجد، أو إلى ساحة بيت الشيخ، وبهذا تكون هاتان المؤسستان قد تم تسخيرهما لإيجاد هذا الصرح العلمي الكبير الذي أسماه المجتمع الغيني بـ«حلقة».

والحقيقة التي لا بد من رسمها هنا أن المنهج المتبع في الحلقات القرآنية بإفريقيا بصفة عامة كان من ضمن ما استلته قرائح المشايخ من تاريخ العلم والمعرفة في العالم الإسلامي، وإن كانت الحلقات قد سحت عطاؤها الحقيقي من خلال قدرتها على تجاوز عوائق العلم والمعرفة في الوسط البدوي أو القروي.

إن مفهوم التعليم لدى أرباب الحلقات هو الحفظ واستدعاء ما حفظ عند الضرورة مستشهدين بقول الإمام الشافعي:

علمي معي حيث ما يممت ينفعني قلبي وعاء له لا بطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق

إن أكبر إشكال منهجي يواجه الباحث في مجال الحلقات الغينية، أن المؤسسات لم تترك دراسة مكتوبة عن مناهجها التحفيظية، ولا حتى عن خططها التعليمية، فغياب البحث المتخصص القادر على تشخيص أنماط التعاطي المعرفي، وأساليبه لدى الحلقات، والأعراف المتبعة فيها، ما يمكن أن نقول عنه أنه رؤية منهجية غير مسطورة، تسعى وفقها الحلقات، يؤثر على كل مكتوب عن هذا الصرح المعطاء، ويقلل من قيمته التربوية والعلمية. فالذي يهمنا في هذه الدراسة هو وضع النقاط على المناهج العلمية الشائعة المتبعة في الحلقات القرآنية الغينية، وهذا

لن يتم إلا بالنظر السديد في مكوناتها الست الأساسية، بقصد النظر فيها والسعي لتطويرها مع الحفاظ على خصوصيتها.

وتتمثل هذه المكونات الست في:

أولًا: منهج التحفيظ:

يختلف من حلقة إلى أخرى، بحسب البيئة ومستوى ثقافة الملقن، ولكن المنهج الشائع والمتعارف عليه لتحفيظ القرآن في الحلقات الغينية، منهجان:

أ ـ المنهج التلقيني أو الترديدي:

هو تكرار القراءة من أجل تثبيت الحفظ، وهذا المنهج هو الأكثر تطبيقًا في الحلقات القرآنية الغينية قديمًا وحديثًا، ويقوم على قراءة الشيخ للآية أو الجزء منها إلى موضع الوقف الصالح فيقف عليه، ويردد الطالب ـ فردًا أو جماعة ـ ما سمعه على هذه الهيئة، مستوفيًا لمخارج الحروف وصفاتها، ومتبعًا لما يلقنه الشيخ، فإذا شعر الشيخ بأنه لم يحرر ذلك في أدائه، عاد إليه فكرره أكثر من مرة حتى يتقن أداءه.

ويستخدم هذا المنهج غالبًا مع الصغار الذين لا يعرفون القراءة، فيقوم الشيخ بكتابة الدرس له على اللوح أو يكلف أحد الطلبة المجيدين للقيام بذلك، مراعاة مدى قوة الطالب وقدرته على الحفظ، ثم يردد الدرس معه حتى يتأكد من إتقانه له.

وعندما يحضر الطالب لأول مرة إلى الحلقة، يقدم لجرن ـ الشيخ ـ لوحة، فيسجل فيها حروف الهجاء العربية في جانب واحد، وأما

الجانب الثاني، فيسجل عليها سورة الفاتحة، ثم يبدأ الشيخ في تلقين الطالب هذه السورة جملة ليحفظها سماعًا بدون تهجين وبدون فهم، فإذا ما حفظها في أسبوع أو أكثر أو أقل حسب قوة ذاكرته مثلًا يمحوها بماء طاهر في مكان خاص ثم يترك اللوح في الشمس أو قرب النار لينشف، ثم يسطر بقلم تقليدي، ويكتب المعلم أو من ينوب عنه سورة الناس للحفظ أو بالسماع وهكذا صعدًا مع المصحف. وأما حروف الهجاء فتبقى مسجلة في ذلك الجانب من اللوحة لمدة أشهر حتى يحفظها الطالب عن ظهر القلب، يحفظها أولًا بأسمائها ألف باء بطريقة إفريقية ـ ولكل قبيلة منهجها في ذلك ـ، فمثلًا القبيلة الفلانية يميزون بين الحاء والهاء بالتسمية، فالحاء يسمونه حاء الصغير، والهاء بحاء الكبير ـ، ثم ينتقل الطالب إلى معرفة صور الحروف وأشكالها، ومعرفة وجه الشبه بينها وبين بعض الأدوات المحسوسة التي يشاهدها الطالب كل يوم. وبعد هذا كله ينتقل الطالب إلى معرفة كيفية النطق بالحروف، وللطفل سورًا من القرآن الكريم في جانب من اللوح، ثم تأتي مرحلة ثانية تتمثل في كتابة الشيخ سطورًا من القرآن في جانب من اللوح، وعلى الطالب أن يمر بقلمه على ما كتبه الشيخ، وهكذا. ومن الجدير بالبيان أن الحلقات التقليدية تستعمل الطريق الفردي مع الطلاب، فالشيخ يقدم لكل طالب حصته منفردًا، مهما كثر الطلاب، فإنه يلقن كل واحد درسه. وأما الحلقات الحديثة، وخاصة الموجودة في المدن والعاصمة، فتستخدم الطريق الجماعي، فإن هذه الطريقة تسهل للطالب حفظ المقطع، وتشحذ همم بطيئي الحفظ والمهملين، وتدفعهم إلى مسايرة زملائهم، والسير على منوالهم في الحفظ والمراجعة، إلا أنها

يكثر فيها اللحن بنوعيه ـ الجلي والخفي ـ لدى الطالب، وعدم قدرة الشيخ على التفطن له، نظرًا لعدم تعامله معهم كلًّا على حدة، وعدم استفادة كل واحد من تلاوة زملائه الآخرين في تصحيح النطق ومعرفة الخطأ.

ولا شك أن الطريقة التقليدية أفضل، يتمكن الطالب النابغ من حفظ القرآن في فترة وجيزة، وتحرك الدوافع الذاتية لدى الطالب، مما يؤدي إلى زيادة كمية المحفوظ. وأما الطريقة الحديثة والشائعة في الحلقات العاصمية، قد تغلق المجال أمام ذي القدرات الجيدة للتقدم، مع ما فيه من وهن مستوى متابعة الطلاب بالدقة، سواء فيما يتعلق بالحفظ والأداء، أو الانتظام والسلوك.

ب ـ المنهج الكتابي:

هو أن يكتب الطالب الدرس المقرر على اللوح ثم يعرضه على الشيخ ويقرؤه له ثم يقوم الشيخ بتصحيحه له، وبعد حفظه يرجع إلى الشيخ ليستمع من حفظه فإن أتقنه أذن له بمحو الدرس في مكان خاص ـ تحت جذع الشجر أو يحفر حفرة خاصة يمحو فيها ـ ليكتب مكانه درسًا جديدًا، ويستعمل هذا المنهج مع المتوسطين القادرين على الكتابة.

ولعل من المفيد هنا أن نشير إلى أن أهل غينيا اقتصروا في تعليم القرآن على حفظه فقط، فلا يخلطونه بسواه في مجالس تحفيظهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلى أن يَحذق فيه أو ينقطع دونه، على مذهب أهل المغرب، بخلاف أهل الأندلس الذين

اهتموا باللغة العربية والشعر والآداب، حتى إذا ما برع الطفل في هذه العلوم انتقل إلى دراسة القرآن الكريم بحجة أن الطفل لا يستطيع فهم وإدراك معاني القرآن الكريم ما لم يلم بأصول اللغة العربية.

ثانيًا: البداية بقصار السور:

فهم ينتقلون من الأدنى إلى الأعلى مراعاة لسن الطالب وترويضًا له على الخوض في السور الطويلة، وفائدة هذه الطريقة: مراعاة ذهنية التلميذ الذي يكون في سن مبكر لا يستطيع استيعاب مقاطع طوال السور إلى جانب الفوائد الموضوعية الآتية:

١ ـ كون أغلب هذه السور مكية، ومعلوم أن القرآن المكي في غالبه يركز على ترسيخ العقيدة. ٢ ـ قصر فواصل هذه السور. ٣ ـ اشتمالها على قصص يستطيع التلميذ استيعابها، كسورتي الفيل والمسد. ٤ ـ كون التلميذ مأمورًا بالصلاة لسبع وهو أمر يناسب استعداده بحفظ سور من القرآن يقرؤها في صلاته. ٥ ـ قصر السور يجنبه الملل ويعينه على الحفظ.

ثالثًا: استعمال اللوح:

لا يحتاج الطالب الذي يريد الالتحاق بالحلقة القرآنية كثيرًا من الأغراض، فالشيخ يوفر له كل متطلبات العيش رغم بساطتها، ومع ذلك فقاصد الحلقة القرآنية يتحتم عليه اصطحاب لوح خشبي خفيف، ومصقول لتكون صالحة للكتابة. ومازالت الألواح معتمدة في غينيا، ولا يزال النجار فيها يقوم بتحضير اللوح الخشبي على أشكال مختلفة في الطول والعرض، فهناك الألواح التي تحمل ثمن الحزب، وأخرى

تحمل ربعه، كما أن هناك ألواحًا تحمل نصف الحزب وهي قليلة، حسب تدرج المتعلمين في الحفظ. وقد استحدثت الألواح في الحلقات المدنية، حيث أدخل فيها اللوح المصنوع من البلاستيك الذي يكتب فوقه بالطبشور، إلا أن المتعلم في الحلقات التقليدية لا يمكنه الاستغناء عن اللوح الخشبي العتيق، لعدم محو ما يكتب عليه بسهولة إلا بعد غسله بالماء، عكس مادة الطبشور التي تمحى بسهولة.

هذا وقد ارتبط اللوح بالحفظ عندنا، فما كتب على اللوح؛ لا يمحى حتى يغيب في الصدر.

وأنا أؤكد هنا بناء على تجربتي الطويلة في الحلقات العلمية بأن السور التي حفظت على اللوح؛ أرسخ وأثبت من التي حفظت من المصحف مباشرًا، وقد قال بعض العلماء: «إن العلم الذي أخذ عن طريق الكتابة في اللوح يورث صاحبه الورع والخشية»، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[(١)].

وقد مثل اللوح في التراث المحظري قيمة علمية كبيرة، وتغنى به الشعراء، ورفع من شأنه العلماء، فمن ذلك قول ابن حنبل الحسني:

عم صبحا أفلحت كل فلاح ... فيك يا لوح لم أطع ألف لاح
أنت يا لوح صاحبي وأنيسي ... وشفائي من غلتي ولوّاحي
بك لا بالثرا كلفت قديمًا ... ومحياك لا وجوه الملاح

ولم يقتصر الأمر على هذا الحد، بل إن بعض الفقهاء أجرى حكم

(١) سورة الأعراف: الآية (١٤٥).

مس اللوح الذي فيه قرآن على حكم مس المصحف، ومن نوادر تعلق شيوخ المحظرة باللوح أن بعضهم كان يكتب ورده من القرآن على اللوح وكان قد تجاوز الثمانين فقيل له: لم تفعل ذلك وأنت تحفظ القرآن؟ فقال: أحب أن يأتيني الموت والقرآن على لوحي، ونظيرها ما ذكر في ترجمة ابن الجوزي أنه أوصى أن يسخن ماء غسله عند الموت على براية الأقلام التي كان يكتب بها حديث رسول الله ﷺ[(١)].

وللحفظ عن طريق اللوح فوائد، منها:

١ ـ يمكن من مراعاة الفروق الذهبية واستغلال الطاقات.

٢ ـ يمكن من تعلم رسم الحروف.

٣ ـ يعين على التدرج في حفظ السورة بخلاف ما لو كلفناه الرجوع إلى المصحف الذي يحوي السورة كاملة.

٤ ـ التركيز التام على الدرس، فأما في المصحف فعندما يشعر الطالب بالملل، فسيشرع في تصفح المصحف، وإن كان صغيرًا قد يتلاعب به دون انتباه.

ثالثًا: القلم والمداد:

ذُكر القلم في القرآن الكريم أكثر من مرة، بصيغة المفرد (قلم) كقوله عز وجل: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[(٢)]، وبصيغة الجمع (أقلام) في

---

(١) أساليب الحفظ في المناهج المحظرية: قراءة تاريخية تأصيلية: أحمد بن محمد فال. موقع جمعية المستقبل للدعوة والثقافة للتعليم. بتصرف يسير.

(٢) سورة القلم: الآية (١)، وسورة العلق الآية (٤).

قوله جلا وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[(١)].

القلم المستخدم في الحلقات القرآنية عندنا هو اليراعة التي يحضرها المتعلم ويتفنن في تحضيرها، لأن الإجادة في تحضير القلم تساهم في إجادة الخط. ولكي يتحكم الطالب في حجم الخط (الكتابة بالخط الغليظ والخط الدقيق بقلم واحد) يبري الجانبين، على شكل مثلث ليتسنى له قص رأسه حسب الشكل الذي يريد، وهنا تظهر براعة الطالب في هذا الشغل اليدوي في إمكانيته صنع قلم يقوم بوظيفتين مختلفتين، الكتابة الغليظة عند وضع بطن القصب على سطح ما يكتب فوقه (لوح خشبي، جريد...) والكتابة الدقيقة عند الكتابة به على ظهره.

أما في العصر الحديث فقد أدخلت الأقلام التي نعرفها اليوم في بعض الحلقات المدنية الذي استفاد من التقنيات الحديثة في تطوير هذه الوسيلة، ومع الاستغناء الشبه التام عن القلم التقليدي، فإنه مازال من الناس من يتخذ صناعة الأقلام حرفة، يجمع فيها بين خصائص القلم التقليدي العجيبة، وبين إيجابيات التكنولوجيا الصناعية.

وأما المداد والذي يعرف في المغرب العربي بـ(السمق) أو (السماق) فتختلف مادته من منطقة لأخرى، فهناك من تؤخذ مادته من صوف الأغنام، أي صوف ذيل الشاة الملطخة بعرقها، والممزوجة بقذاها، فعند تحضيرها: يحرق هذه المادة فيكون بحرق الصوف

(١) سورة لقمان، (٢٧).

الملوث، ثم إضافة القليل من الماء إليها حتى تصبح على شكل سائل بني اللون بحسب مقدار إضافة الماء والحرق أيضًا.

ولكن الطريقة الشائعة صناعته من شجرة معروفة عندنا، ثم يطبخ مليًّا بعد امزجاجه بالملح حتى يسود، ليوضع هذا المزيج في محبرة زجاجية خاصة، وقد يكتب به القرآن للشرب، وهذا يعني أنه غير نجس. فهو مصنوع من مشتقات معدنية محلية، وكلها أدوات بسيطة وأصيلة قضت بها عبقرية الغينية على دياجير الجهل، وحققت بها ما حققته كبريات المدارس الإسلامية بما امتلكت من وسائل علمية متطورة حينها.

رابعًا: التكرار:

وهو مراجعة دورية يستطيع التلميذ من خلالها أن يربط بين الأجزاء التي حفظها خلال المدة السابقة للتكرار، ومن فوائده ترسيخ الحفظ، وكذا حضور الذهن عند رفع الصوت بالقراءة بخلاف لو كانت القراءة صامتة.

خامسًا: نظام التأديب:

فالتلاميذ هم أبناء المعلم، لهذا فإن له الحرية المطلقة في التصرف في تربيتهم وتأديبهم، وذلك ناتج عن الثقة الكاملة في تربية المعلم وفقهه وعلمه، وكثيرًا ما سمعنا عن آباء قالوا لمعلمي أبنائهم: «**أنت تقتل وأنا أدفن**». وعندما يلاحظ المعلم بعض التلاميذ غير المنتبهين فإنه يحذرهم أولًا، فإن لم يجدي التحذير والعتاب كان السوط التقليدي هو

العلاج، فيضربهم على ظهورهم بعد أن يضطجع الطالب على الأرض، أو يأمر الشيخ زملاءه بمده، فيقبض على يديه ورجليه، فيتعلم الطلاب من أخطائهم السابقة حتى لا يقعوا فيها مجددًا خوفًا من العقاب. وكذلك في حال تأخر التلميذ في الحفظ أو تهاونه في ذلك أو إساءته للأدب فإنه يعرض نفسه للعقاب بالضرب أو باستبقائه في المسجد أو الحلقة وقتًا من الأوقات، وإن لم يردع الطالب قد يرفع الشيخ الأمر إلى ولي أمره، وإن أعاد قد يفصل من الدراسة. والسوط التقليدي أشد وطًا وألمًا من العصا، ويترك أثرًا بالغًا في الجسد، وقد ينفخ الجسد، بحيث لا يستطيع الطالب بعد الضرب القعود على وركه.

وقديمًا إذا تأخر الطالب عن الحفظ تهاونًا وتساهلًا منه، يقلد بالسلاسل من الحديد، ولا تفك عنه حتى يختم القرآن.

ولعل التربية بالضرب قد بدأت تقل لتأثر المدرسين بالواقع المتغير، لكنهم ما استعملوها إلا لما يعلمون من أهميتها وأثرها في الإعداد التربوي، كما قال الشاعر:

لا تندمن على الطلاب إن ضربوا فالضرب يفنى ويبقى العلم والأدب
فالضرب ينفعهم والعلم يرفعهم لو لا المخافة ما خطوا ولا كتبوا

ومما يحكى من نوادر المعلمين في هذا الباب، ما حكاه الجاحظ قال: «مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق، فقلت: ما هذه؟ فقال: عندي صغار أوباش، فأقول لأحدهم: اقرأ لوحك، فيصفر لي بضرطة فأضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فأضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدي فأضع الكرة في الصولجان وأضربه فأشجه، فتقوم إليّ الصغار كلهم بالألواح فأجعل

الطبل في عنقي والبوق في فمي وأضرب الطبل وأنفخ في البوق، فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون إليّ ويخلصوني منهم»[(١)].

وبالتأكيد فإن المحفظين في الحلقات القرآنية التقليدية عندنا ليسوا ببعيدين عن هذا، فقد شاهدنا ما هو أشد من هذا في بعض الأحيان، فهناك من يحرم الطالب من الأكل خلال ثلاثة أيام مع الضرب الأليم في كل غدوة وعشيًّا، وهناك من يدمي الطالب أثناء تعذيبه، فكم من طالب ذكي أخرجه الضرب من الحلقة، لا تزال آثار الضرب السلبية حاضرة في نفوس كثير من القراء والحفاظ.

والأدهى والأمر أن يعتقد بعض أولياء الطلاب بأن في تحمل عذاب الأستاذ بركة، ومنه انبثقت قاعدتهم التي تقول: «لا علم بدون أدب، ولا أدب بدون تعذيب».

إن زمن الضرب قد أدبر وتولى، وحل محله زمن الحوار والأفهام والتواصل بشتى أنواعه، كما اقتحم عليه زمن الترغيب والمسابقات والمباريات. وعليه؛ فعلى معلمي الحلقات أن يبدعوا في وسائل العقاب الإيجابية، بدل السلبية التي لا تثمر شيئًا سوى الحقد والكراهية وحب الانتقام مع توالي الأيام، أما الوسائل العقابية الإيجابية فهي تثمر التحفيز والرغبة والمسارعة نحو تجاوز الأخطاء والتقدم على الأقران، وهذا لا يعني أبدًا ترك الحبل على الغارب، بل يعني ضمن ما يعنيه الحزم من غير فضاضة والرفق دون هزل كما قال الشاعر:

فقسا ليزجره ومن يك حازمًا فليقس أحيانًا على من يرحم

(١) المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين (٥١٩/ ـ ٥٢٠).

سادسًا: يوم الزينة:

عندما يكون الطالب قد وصل في القراءة أو الحفظ إلى نهاية جزء (عم) أو (يس) أو ختم القرآن الذي غالبًا ما يتم في سنتين إلى سبع سنوات، تقام للطفل وليمة عند الختمة الأولى، وتقدم إليه هدايا من الملابس والحيوانات، كما تقدم إلى شيخه هدية تتكون ـ عند قبيلة فلان ـ من ثنية مع ملابس بيضاء للزينة أو عجل تبيع أو فرس، ويدعى إلى هذه الوليمة زملاء الطفل في الدراسة مع تلاميذ المدارس في القرى المجاورة مع شيوخهم مع كل من استطاع أن يحضر من الأقارب وأصدقاء الأسرة، وتذبح الثيران والضأن ويهيأ الطعام، ويوزع على كل بيت في القرية، وبعد أن يطعم المدعون، يختم القرآن وتقرأ الأدعية المأثورة ويدعو الشيخ للطفل بالبركة والسعادة وحسن الخاتمة.

وتسمى الختمة الأولى للقرآن الشقة، ثم يبدأ بعدها الطالب القراءة من الفاتحة إلى الناس شكل مراجعة وتعرف بالعودة.

وفي **نيل الإجازة**: عندما يتقن التلميذ صنعة القرآن، ويحذق قراءة نافع برواية ورش، بعد التجويد وكتابة القرآن من حفظه، ومعرفة كل تفاصيل رسم القرآن حسب هذه القراءة، ويتقن فن الرمز أي أن يعرف عدد كل كلمة وردت في القرآن، وأن يستطيع عدها والإشارة التي وردت فيها الكلمة المعدودة، وأن يعرف عددها تقييدًا واضحًا من بيت أو من ضبط الأحرف الأولى من الكلمة التي تعقب أو تسبق الكلمة المعدودة أو ذكر السورة أو الجزء من القرآن دون التباس، ويدرس القراءات السبع أو العشر فقط أو مع القراءات الشواذ ويعرف الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ويعرف أحكام الوقف والابتداء والمحكم

والمتشابه من القرآن، فإذا وصل الطالب إلى هذا المستوى، يؤذن له بأخذ تفسير القرآن الكريم عن شيخ ثقة أخذ التفسير وأجيز فيه، ويطلق عليه عند الفلانيين لقب **جرن** (thierno) أي العالم الرباني، ويتسلم الإجازة ويعمم عمامة العلماء، ولا يظهر بعد ذلك أبدًا حاسر الرأس، وهذه الإجازة تذكر سلسلة من الشيوخ، بدأ بالشيخ وانتهاء إلى رب العزة والجلال.

والتلميذ الذي وصل إلى هذه المرحلة في معرفة القرآن الكريم هو الحافظ المتقن الذي يقصده من يريد التخصص في تدريس القرآن، وقد يتوقف بعض الطلبة إذا أتقنوا قراءة نافع، وبعضهم يكتفون بالحفظ والتجويد ومعرفة رسم القرآن.

المبحث الثالث

اقتراحات لتطوير الحلقات القرآنية بغينيا

لقد أثبتت الحلقات القرآنية التقليدية نجاحها في الواقع العملي؛ بدليل عدد المتخرجين منها الذين يشرفون اليوم على تأطير السلك الديني إداريًّا وتقنيًّا، ولكن إيمانًا منا بضرورة التجديد الذي بمعنى التطوير لا بمعنى النسخ، ولا شك أنه لازم لجميع الحلقات القرآنية بكل مكوناتها، وهذا لا يتم إلا بالحديث المفصل بعض الشيء عما يلزم كل مكون من هذه المكونات داخل المنظومة التعليمية بغينيا، وتحديد الهدف الأساسي والتفكير في وضعه والبناء عليه.

أولًا: الاعتناء بالفضاء التحفيظي:

إن المكان الذي يجتمع الناس فيه لتحفيظ القرآن الكريم ساعات طويلة، من قبل صلاة الصبح إلى وقت العشاء، ينبغي أن يكون مكانًا منظّمًا، وأن تتوفر فيه شروط الصحة والسلامة.

ومن الملاحظ أن أماكن التحفيظ في الحلقات التقليدية غير منظمة ولا نظيفة، فالطلاب ينامون على الأرض أو على الحصير، ولا تسأل عن كثرة البعوض، وكثير من الأولاد يصابون بالمرض العضال لوسخ

المكان، وقد يبقى بعض الطلاب أسبوعًا كاملًا دون الاستحمام، فالأطفال منهم مهملون، لا يكترث الشيخ بهندامهم. انظر إلى هذه الصورة لتحكم بنفسك:

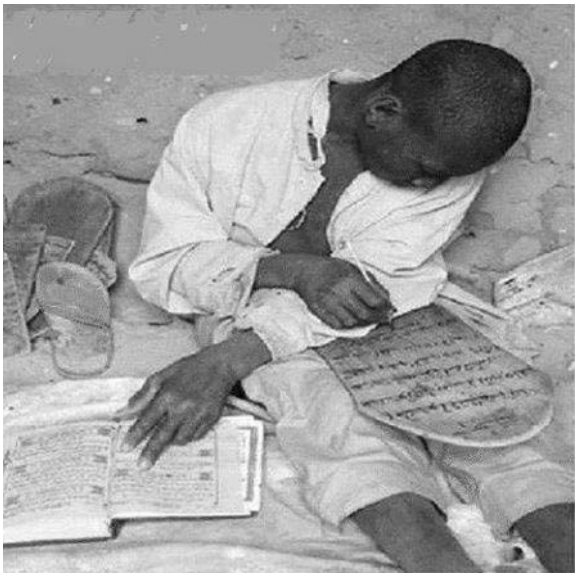

هكذا جل طلبة كتاب الله في الحلقات القرآنية في غرب إفريقيا عمومًا، قد يبقى هكذا أيامًا دون أن يمس الماء جسده، فلا الشيخ ولا كبار الطلاب ولا أولياء الأمور يكترثون به، وإن ألم داء بأحد الطلاب لا يعطى إلا بعض الأدوية التقليدية التي قد تكون ضرها أكثر من نفعها.

إن الأماكن المخصصة لتحفيظ كتاب الله ينبغي أن يكون راقيًا منظمًا، تتوفر فيه شروط الصحة والسلامة بشهادة من طبيب ماهر متخصص، ووزارة الشؤون الدينية هي المسؤولة عن ذلك، فعليها أن تصدر منشورًا خاصًّا يتضمن الوثائق والشروط لمن يريد فتح حلقة

قرآنية، لقد صار فتح الحلقات القرآنية فوضى، يفتحها كل من هب ودب، وفي كل مكان.

إن في غينيا حلقات كثيرة من حيث الكم غير المتقن من حيث المكان والمحفِّظ والمحفَّظ، فعلى الوزارة أن تتخذ استراتيجية دقيقة في هذا الشأن، وأن تبذل قصارى جهدها في دعم الحلقات القرآنية ومراقبتها ومتابعتها، وترميم الحلقات القديمة وتطويرها، وإنشاء حلقات جديدة في الأماكن التي ليست فيها، لماذا لا نجهز دور القرآن والحلقات بما يتيسر من وسائل التحفيز والتشجيع للصغار والكبار على السواء في ولوجها لتعليم القرآن الكريم وحفظه والتمكن من علومه؟ لماذا لا يكون لدور القرآن وحلقاته بنايات جميلة ومريحة تبعث على جلب الطلبة والمتعلمين، وترغبهم في متابعة الدراسة بها؟ لماذا لا نوفر لهم المآوي والمطاعم النظيفة والملائمة التي تساعدهم على الحفظ والاستذكار وعلى الدرس والتحصيل بالطرق الجيدة؟ بل لماذا لا يكون لهذه الدور القرآنية فنادق خاصة بروادها تضمن لهم المسكن المريح والتغذية الجيدة؟ ألا يستحقون ذلك وهم يشتغلون على أفضل الكتب وخير العلوم؟ ألا يليق بكتاب الله تعالى أن توفر لطلابه مثل هذه الوسائل من أجل تحقيق أهدافه التي لا تقتصر على الدنيا بل تتجاوزها إلى سعادة الدارين؟.

ثانيًا: تجديد منهج التلقين:

وهذا يشمل جميع الوسائل البيداغوجية المعينة على حسن التلقين، فمنهج التلقين بأمس الحاجة إلى تجديد ونظر، ولا نعني بالتجديد

البيداغوجي الإعراض عن الوسائل التقليدية، كاللوحة الخشبية التي أعطت ولا تزال عطاؤها وصلاحيتها جارية ومستمرة، ولكن يتحتم علينا الاستفادة القصوى من الوسائل العصرية، فبدل اللوحة الخشبية، نستعمل السبورة المتحركة والكراريس مع الأقلام السيالة الكثيرة في الأسواق. فنحن بحاجة إلى تجديد مناهج الحلقات القرآنية ودعم قدراتها التعليمية والتربوية والاستفادة من مستجدات العصر في الوسائل والمعدات التعليمية مع المحافظة على أصالة الحلقات وهويتها. وهذا ليس عيبًا، بل هو عين الصواب وعين الواقع، فلكل زمان منهجه التربوي، وقديمًا قيل: «**لا تكرهوا أولادكم على آثاركم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم**».

فينبغي ألا يبقى منهج التلقين جامدًا، لاسيما وهو يحمل عوامل التطور والحيوية في ذاته، لئلا يقال: «إن هذا الأسلوب التلقيني الذي يعتمد على الحفظ الخارجي لا يعطي مفهومًا حقيقيًّا للعقيدة، ولا يحرك الفكر والوجدان لدى الإنسان»، وحتى لا تلمز المناهج التقليدية بمثل هذا التحقيق الذي لا يخلو من موضوعية ومن غيرة على القرآن الكريم خاصة والإسلام عامة، لابد من المبادرة إلى مزيد الاهتمام بالقرآن حفظًا وتدبرًا وتعليمًا، وأن نسخر في سبيل ذلك كافة الوسائل المادية والبشرية، ونسعى جاهدين إلى تذليل العوائق والصعوبات التي تحول دون نجاعة هذه الوسائل التعليمية حتى نحقق رضا الله سبحانه وتعالى عنا.

هذا وإن من التجديد، ومما أعيب به على أساتذة الحلقات القرآنية اليوم وخريجيها عندنا هو عدم ترتيل القرآن بالطريقة الغينية التقليدية،

إنها طريقة فذة في قمة الروعة والجمال، وخاصة إذا صبغت بحسن التلاوة والترتيل، فإن لكل دولة ـ تقريبًا ـ طريقتها الخاصة، تميزها عن غيرها، فهناك القراءة المشرقية والمغربية والشنقيطية.. وهلم جرًّا، فما يلاحظ على غالبية الحفاظ المتخرجين من حلقاتنا اليوم: وَأْدُهم لهذه الطريقة التقليدية، وميلهم الشديد إلى الطريقة المشرقية، وهذه الإشارة في هذا الباب أثيرها قصدًا، لما يحصل من التأثر بالطرق الأخرى داخل حلقاتنا، من البراعة القصوى في التقليد والمحاكاة، وهي غير ضارة في حد ذاتها، بقدر ما تنتج لنا أناسًا لا يعرفون شيئًا عن هذه القراءة التقليدية، واعتقاد جيل الشباب المعاصر بأن هذه الطريقة خاطئة، حتى أطلق عليها البعض لقب: «قراءة سوداء»، فأنا أدعو الوزارة إلى إقامة مسابقة قرآنية بالطريقة الغينية، لأن من التجديد إحياء القديم بالصورة العصرية الرائعة، دون دك أركانه.

ثالثًا: المزاوجة بين الحفظ والفهم:

انصب الاهتمام في الحلقات الغينية ـ وما زال ـ في قراءة القرآن الكريم والتعامل معه، على الحفظ والاستظهار القلبي، واستفراغ جهد المقرئين والمدربين والمتلقين على اختلاف مستوياتهم ـ في التركيز على ضوابط الشكل في القراءة من أحكام التجويد ومخارج الحروف، حيث أصبح هم الحلقات: تحفيظ القرآن الكريم وحسن النطق والأداء والقراءة المجودة، حتى زعم بعضهم بأن التجديد في منهج تلقين القرآن هو: ترانيم وتناغيم وتراتيل يستدعي في حالات الاحتضار والنزوع والوفاة، ورسومًا تزين به المجالس والمكاتب ويتهادى به الناس، مما

يجعلها أحيانًا قراءة لا تتجاوز الشفاه، وقلما تنفذ إلى القلوب وتتأثر بها النفوس، الأمر الذي ترتب عنه ما يمكن أن نعتبره إشكالية يجب البحث لها عن حل بما يضمن العودة إلى منهج السلف الصالح الذين كانوا يزاوجون بين التلاوة والفهم والترتيل والتدبر، فأحسنوا بذلك التعامل مع كتاب الله حيث كانوا لا ينتقلون من العشر آيات إلى العشر الأخرى حتى يروا ما فيها من القول والعمل وصاروا بذلك قرآنًا يمشي على الأرض.

فنحن لا نقلل من أهمية هذا الاهتمام بحسن الأداء والترتيل، بل نحرص على استمراره لأنه مطلوب في حد ذاته لما لصاحبه من أجر دنيوي وثواب أخروي، ولكن التمثل والاستيعاب وتدبر المعاني الذي يحدث تفاعلًا بين القارئ ونفسه وعقله، مما ينعكس على حياته وسلوكه تبقى هدفًا أساسيًّا وغاية مرجوة من كل قراءة قرآنية باعتبار أن الفصل ـ ولو كان غير مقصود ـ بين القراءة والفهم، والسماع والتدبر، لا يستقيم لما فيه من الفصل بين المعاني والمباني، كما أن ترديد الألفاظ والآيات القرآنية دون استيعاب لمعانيها وإدراك لمقاصدها لا يتفق مع قوله ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» فالخيرية مرهونة بالتعلم الذي يعنى الفهم والتدبر والعمل.

إن الحاجة الماسة تدعو إلى إعانة الحفاظ والتالين لكتاب الله تعالى في حلقاتنا القرآنية على فهم ما يتلون والاستفادة مما يقرأون بما يجعل آيات القرآن تؤثر في النفوس وتذعن لحكمها العقول اعتقادًا وقولًا وعملًا لتثبيت الإسلام في القلوب، وذلك بإعداد تفسير ميسر مختصر من لدن طائفة من المختصين،بعبارة مختصرة مع بيان معاني الألفاظ

التي تحتاج إلى شرح في سياق التفسير ـ دون ذكر لمسائل النحو والصرف والمصطلحات وأسباب النزول والنسخ والتأويل ـ والاقتصار على ما هو ضروري للفهم والتدبر، كل ذلك انطلاقًا مما صح من التفسير بالمأثور والقول الصحيح دون إغفال روح التجديد في الفهم بما يتفق مع سنة التجديد ومفهومها الإسلامي، لأن سلطان القرآن محقق في الذين يفهمونه لا الذين يستظهرونه. ولا أنسى أن أذكر بضرورة مسايرة المعلم تلاميذه أثناء حفظ القرآن بما يلزم من معرفة، كمتن الجزري، أو منظومة ابن جزي، وتحفة الأطفال، وبعض المنظومات المختصرة في رسم القرآن.

وتقويم لسان الأطفال داخل الحلقات أمر أساسي، والحفظ يمنح بعض هذا، ولكن لا يمنحه كاملًا، لهذا يبقى دور المحفِّظ أساسيًّا في هذا الأمر، ولعل مما يعين عليه: التحدث بالعربية في بعض الأحيان داخل الحلقة، وحسن توجيههم نحو فهمها والقراءة فيها، ويستحسن أن يرفق تعليم القرآن بتعليم وحفظ متن الآجرومية في النحو، وفاتحة التصريف في الصرف: لشيخنا سعد الدلني، وغيرها من مؤلفات شيوخنا اللغوية الرائعة.

رابعًا: تحسين آفاق المحفظين:

إنهم أهل الله وخاصته، أقطاب العملية التربوية والتعليمية، فبدون جهودهم لن تكون عندنا الحلقات، ولا عملية تعليمية، فتشجيعهم على اقتحام هذا المجال، وتوفير الشروط الضرورية لذلك أمر واجب اليوم على الوزارة الدينية، فيجب عليها دعم نقابة القراء سياسيًّا واجتماعيًّا،

ماديًّا ومعنويًّا، وأن تقيم المسابقات الدينية، وتنفق عليها، وأن تسلط الضوء على المتفوقين، وتصرف مكافآت عينية ومادية، وأن تقدم القراء في صورة بهية راقية، نظرًا لدورهم المقدس في تحفيظ كتاب الله، لكي تخرج لنا أبدع الأصوات، وتعلي بلادنا إلى سماء ريادة التلاوة. فلا يقتصر دور الوزارة على إقامة مسابقة سنوية، ومنح الهدايا البسيطة الرمزية، بل يتحتم عليها الإشراف المباشر، والاهتمام بوضعيتهم ومكانتهم ومؤهلاتهم. فنفخ الروح في أجساد الحلقات القرآنية ضرورة يفرضها الواقع حتى تستعيد مكانتها، وتؤدي رسالتها، ولن يتم ذلك إلا كما يلي: ـ توزيع الوزارة الشواهد التشجيعية على المحفظين.

ـ إبراز مكانة المحفظين في المجتمع.

ـ وضع ملف علمي لكل المحفظين، وذلك من أجل معرفة الموجود، وتمهيد الانطلاق نحو المقصود.

ـ تأطير خاص للمحفظين، تعد له الوزارة الشؤون الدينية، كما هو الحال في بعض الدول العربية.

وحينما يتم تطبيق هذا، سيكون له أثر كبير في تحريك عجلة التعليم بالحلقات القرآنية ببلدنا الحبيب.

خامسًا: الدعم السياسي والقانوني والاقتصادي للحلقات القرآنية:

من أجل الشروع السريع لتطوير الحلقات القرآنية لا بد من:

١ ـ الإرادة السياسية، وأن تظهر بوضوح في اتجاه تطوير هذه

الحلقات نحو الأفضل، معها الرعية الشعبية، لأنها تمثل العمود الفقري لتاريخ الأمة الإفريقية.

٢ ـ الأداة القانونية، وهو صدور ما يلزم من قوانين لتطوير هذه الحلقات.

٣ ـ الدعم المالي المحلي والدولي: فلا يمكن أن تتحرك عجلات الحلقات نحو الأفضل بدون المساعدة المالية المحلية والدولية، من الجمعيات الخيرية والمؤسسات الدينية، وهذا أمر في غاية الأهمية، فنحن ندعو الجمعيات المختصة في هذا المجال، إلى مد يد العون للحلقات القرآنية والمشرفين عليها، فأكبر مشكلة تتصدى للحلقات القرآنية عندنا تكمن في المنحى الاقتصادي، فلا بد من تخصيص راتب كاف لمحفظي القرآن، حتى يتسنى لهم التفرغ التام لأداء واجبهم على أكمل وجه.

وصفوة القول:

بناء على المنطلقات السالفة، يجب علينا أن نبذل قصارى جهدنا لتعصير الحلقات القرآنية بما يستجيب للشروط البيداغوجية الحديثة، وذلك من خلال إعادة تنظيم القطاع والمشرفين عليها، والعناية التامة بالفضائيات، وأن نسعى إلى رصد الحلقات غير المؤهلة للعملية التربوية من أجل تهيئتها وترميمها لاحتضان الوافدين.

الخـاتمة

١ ـ أهم النتائج:

بعد هذه الجولة العلمية التي أعتبرها وجيزة جدًّا في بساتين الحلقات القرآنية بغينيا يمكن أن أسجل أهم النتائج التي توصلنا إليها:

١ ـ ظهرت الحلقات القرآنية في غينيا منذ طلوع نجم الإسلام في سمائها، ثم نمت وقويت شوكتها في القرن السادس الهجري، وانتشرت من أدنى البلاد إلى أقصاه، وكان يعيش من ريْعه مجموعة من فقهاء الحلقات القرآنية، ثم صارت بعد ذلك مراكز إشعاع للثقافة والفكر الإسلامي في غينيا.

٢ ـ أطلق الغينيون على الحلقات القرآنية أسماء خاصة ذات دلالة عندهم مثل «ددل قرن» و«كرنتي» وغيرها، ويحظى أستاذ الحلقة بالاحترام وكل التقدير في المجتمع الغيني، إذ يترك التلاميذ عنده، يعلمهم بجانب القرآن مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، وله قدسية عظيمة عند الغينيين ما كان يجعل منهم طبقة يُقتدى بها وتُلتَمس منها الخيرات والبركات، وتطلب العامة منهم الدعاء الصالح ويُقبِّل الناس أيديهم تمجيدًا وتعظيمًا.

٣ ـ رغم تواضع الإمكانات وكثرة التحديات التي تتصدى للحلقات القرآنية عندنا ـ خصوصًا في القرى ـ إلا أنها تحظى بإقبال متزايد، ويمنحها الأهالي عناية خاصة تقرأها في قسمات الأوجه ونظرات الأعين والأحاديث المتدفقة عن حاجة القرويين إلى هذه الحلقات القرآنية، فهي بحق إشراق أمل ومشعل تنوير ورافد تعليم ودعوة في العديد من قرى ومدن غينيا.

٤ ـ لعبت الحلقات القرآنية في البلاد منذ القدم وحتى الآن مرورًا بمرحلة هيمنة الدول الاستعمارية دورًا فاعلًا من خلال انتشارها في مناطق واسعة، من فوت جالون وغيرها، بدء من عاصمتها العلمية لابي، ومرورًا بغينيا العليا، وبالتحديد كانكان، وهبوطًا بكنديا، واعتبرت دائمًا مؤسسات إسلامية فريدة لخدمة المسلمين،كما تعتمد الدورات التعليمية لهذه الحلقات على المستوى العلمي للمعلمين والدرجات العلمية المختلفة.

٥ ـ تزخر غينيا بحفاظ وقراء لا تقل أهمية عن حفاظ حواضر العالم الإسلامي حفظًا وتجويدًا لما يجري في الساحة العلمية، يظهر هذا في المشاركات الناجحة في المسابقات الدولية والمحلية للقرآن.

٢ ـ التوصيات:

١ ـ دعم الحلقات القرآنية في تكوين الناشئة المسلمة، وتثبيت القيم الإسلامية لديها، وتربيتها التربية الإسلامية المتسمة بالاستقامة والصلاح والاعتدال والتسامح.

٢ ـ وضع خارطة للحلقات القرآنية وضبط المعطيات الإحصائية.

٣ ـ إعداد مشروع منشور يهدف إلى تنظيم سير العمل بالحلقات.

٤ ـ ضرورة توفر شروط علمية وثقافية فيمن يتولون مهمة التحفيظ في الحلقات القرآنية من المحفظين والمشرفين عليها، بحيث يكون مستواهم المعرفي والثقافي مما يهيئهم لهذه الرسالة النبيلة التي تحتاج إلى ثقافة قرآنية وإلمام بالعلوم القرآنية والشرعية، ودراية بالأساليب والمناهج المناسبة لمختلف المستويات التي تعين على حفظ القرآن وتدبره، ليكون تأثيرهم أكثر وأنفع، فإن وضع الرجل المناسب في المكان المناسب معين على تحقيق المروم، وتجاوز الصعوبات، واختلاف الطرق التربوية.

٥ ـ تشجيع وتحفيز المشرفين والقائمين على الحلقات القرآنية على تطوير أسلوب أدائها، ومناهجها مع المحافظة على خصوصياتها؛ باعتبارها من مؤسسات التعليم الأصيل.

٦ ـ ضرورة إدراج المحفظين في سلك الوظيفة العمومية.

٧ ـ الاستفادة القصوى من خدمات الحاسوب (الإعلام الآلي) في هذه الحلقات؛ لأنها وسيلة مربحة للوقت والطاقة، ومسعفة في التطوير والجودة في الخدمات العامة، والاحتياجات التربوية.

٨ ـ إقامة دورات تدريبية لمدرسي الحلقات القرآنية، أو مهرجانات قرآنية، يؤطرها المتمكنون المتخصصون في مجال بيداغوجيا التعليم، وعلم نفس الطفل، وأن تكون تحت عناية وإشراف الوزارة الدينية، من أجل إعادة النظر في الطرق البيداغوجية، لتجديد ما يمكن تجديدها فيها، والابتعاد عما يجب تجنبه فيها.

١٠ ـ الاهتمام بالجانب التطبيقي، وتنزيل الحفظ والعلم إلى الواقع؛ فإن الرسول ﷺ كان قرآنًا يمشي بين الناس.

١١ ـ تأسيس رابطة الجمعيات القرآنية لدعم القرآن الكريم، ولتقوية الروابط والعلاقات بينهم وتصحيح وضع الهرم المنكوس، مثلًا: رابطة علماء غينيا والسعودية لتطوير القرآن الكريم، أو الجمعية القرآنية لعلماء غينيا والكويت أو الإمارات أو المغرب ـ أي دولة من العالم الإسلامي ـ لدعم القرآن الكريم....

١٢ ـ فتح حلقات تحفيظية مجانًا للأيتام والفقراء والمساكين تشمل كافة جهات غينيا.

١٣ ـ فتح قسم خاص للقرآن الكريم في جامعاتنا، أو كلية خاصة للقرآن الكريم.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا عن الحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع

- أساليب الحفظ في المناهج المحظرية: قراءة تاريخية تأصيلية: أحمد بن محمد فال. موقع جمعية المستقبل للدعوة والثقافة للتعليم.

- تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار: المعروف بـ«رحلة ابن جبير» طبعة إلكترونية.

- الجامع الصحيح سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى، مراجعة: أحمد محمد شاكر وآخرون النشر، طبعة دار إحياء التراث العربي، ـ بيروت.

- ديوان الإمام ابن حزم الظاهري: جمع وتحقيق ودراسة، د. صبحي رشاد عبد الكريم، دار الصحابة للتراث طنطا، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

- صحيح الإمام مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، طبعة: (١) ١٤٢٧ ـ ٢٠٠٦م دار طيبة.

- القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، المحقق: محمد نعيم العرقسوسي، طبعة ٨ ١٤٢٦ ـ ٢٠٠٥م مؤسسة الرسالة.

ـ مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، طبعة ١٩٨٦م مكتبة لبنان.

ـ المستطرف في كل فن مستظرف: لشهاب الدين أبي الفتح محمد بن أحمد الأبشيهي، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ مسند الإمام أحمد، المحقق: أحمد محمد شاكر ـ حمزة الزين.

ـ المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب: أبو العباس الونشريسي، المحقق الشيخ: زكريا عميرات، دار النشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ـ ودار الغرب الإسلامي.

ـ المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، طبعة ٤ ٢٠٠٤م مكتبة الشروق الدولية.